

التداخل الزمني وأثره في بناء الحبكة في رواية رجال في الشمس

Temporal Overlapping and Its Impact on Plot Construction in Ghassan Kanafani's *Men in the Sun*

Bashayer Jassim Lazem

College of Basic Education, University of Maysan

بشائر جاسم لازم

كلية التربية الأساسية – جامعة ميسان

¹Received: 27/08/2025; Accepted: 07/10/2025; Published: 10/10/2025**Abstract**

Ghassan Kanafani's *Men in the Sun* is considered a foundational text in modern Palestinian and Arab literature, where themes of identity, exile, and alienation intersect with advanced narrative techniques. This study focuses on temporal overlapping as an artistic and aesthetic device for reshaping the narrative trajectory and examining its direct impact on plot construction. The novel does not rely on a linear sequence of events; rather, it employs temporal shifts (flashback and flashforward) to generate dramatic tension, deepen the psychological structure of the characters, and highlight the weight of the past over the present. The research aims to deconstruct the narrative mechanisms through which time becomes a structural element that transcends the function of recording events, turning instead into a complex network of signs and meanings. It also investigates the relationship between temporal overlapping and existential alienation, as time emerges as a pressing force that thwarts the characters' attempts to overcome their historical and political predicament. Through critical comparative textual analysis, the study reveals that the plot in *Men in the Sun* is not merely a sequence of tragic events but a complex structure nourished by the dialectic of past/present and life/death. The significance of this perspective lies in offering a reading of the novel beyond its immediate political dimension, exposing its artistic and technical depth. The findings are expected to show that temporal overlapping contributes to creating a closed circular plot symbolizing the blocked horizon before the Palestinian at that time, demonstrating that narrative technique is not only an aesthetic tool but also an intellectual means of producing meaning.

Keywords: Temporal Overlapping; Narrative Plot; Ghassan Kanafani; *Men in the Sun*; Modern Arabic Narrative

¹ How to cite the article: Lazem B.J. (2025); Temporal Overlapping and Its Impact on Plot Construction in Ghassan Kanafani's *Men in the Sun*; Multidisciplinary International Journal; Vol 11 No. 2 (Special Issue); 103-117

الملخص

يدرس البحث رواية رجال في الشمس لغسان كنفاني من منظور تحليل الخطاب السردية، مستفيداً من مناهج النقد الحديث كما بلورها جينيت ويقطين وعبد الله إبراهيم. ويهدف البحث إلى الكشف عن الآليات البنيوية والرمزية التي تنتج الدلالة داخل النص، من خلال دراسة مستويات السرد والزمن، وبيان كيف تُسهم هذه البنى في تشكيل الرؤية الفكرية للكاتب تجاه الواقع الفلسطيني والعربي في مرحلة ما بعد النكبة. يعتمد البحث منهجاً وصفيًا تحليليًا يقوم على تحليل العلاقة بين البنية السردية والمضمون الأيديولوجي، إذ يُظهر كيف يتحول السرد إلى وسيلة للتعبير عن القهر والضياع والبحث عن الخلاص، كما يناقش البحث أثر الأيديولوجيا في تشكيل الخطاب السردية، مستعيناً بمفاهيم بلاغة الخطاب، والسردية العربية، كاشفاً للتفاعل بين النص و الحقل الثقافي والاجتماعية. وخلص البحث إلى أن غسان كنفاني جعل من التداخل الزمني وسيلة لإعادة بناء التجربة الفلسطينية على المستويين الفردي والجماعي، حيث يسترجع أبطال الماضي المفقود بينما يعيشون حاضراً مأزوماً لا يتيح لهم الخلاص، والرواية لا تكتفي بتمثيل الواقع بل إنها تعيد صياغته بلاغياً وسردياً، كما يكشف الخطاب السردية عن رؤية مأزومة للهوية والإنسان، تُعبر عنها اللغة عبر بنية رمزية مكثفة، وبذلك يسهم البحث في دراسة نص روائي عربي من وجهة مختلفة عبر إدماج التحليل السردية البنيوي بالتحليل الثقافي.

كلمات مفتاحية: التداخل، الزمن، الحكمة، رواية، كنفاني.

المقدمة:

يمثل الخطاب الروائي ميداناً خصباً لدراسة تحولات السرد وبنية المعنى في ضوء التفاعل بين المرجع الواقعي والبناء الفني، ومن بين هذه الخطابات تبرز رواية رجال في الشمس لغسان كنفاني بوصفها أنموذجاً لتمثل التحولات الاجتماعية والسياسية والوجودية في العالم العربي بعد النكبة، ولانشغالها العميق بأسئلة الهوية والانتماء والمصير.

لعل هذه الرواية بما تتطوي عليه من كثافة دلالية وتنوع في الأساليب السردية، تمثل مادة مناسبة لتحليل آليات الخطاب السردية وفق مناهج النقد الحديث.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث من كونه يسعى إلى تطبيق المناهج السردية الحديثة على نصٍ روائي مهم، بغية الكشف عن الآليات الجمالية والرمزية التي تنتج المعنى في خطاب الراوي، كما تحضر الأهمية في محاولة البحث

الربط بين التحليل البنيوي والدلالة الثقافية، في ضوء ما يسميه عبد الله إبراهيم بـ"السردية العربية بوصفها نظامًا دلاليًا يكشف عن بنية الوعي الجمعي"².

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في تحديد الكيفية التي يُنتج بها النص الروائي العربي المعنى من خلال بنياته الزمنية والسردية، وكيف يمكن فهم الخطاب الروائي عند كنفاني بوصفه خطابًا يتجاوز التمثيل الواقعي إلى إنتاج رؤية فكرية حول الإنسان والهوية.

أسئلة البحث:

1. كيف تتشكل البنية السردية في رواية رجال في الشمس؟
2. ما طبيعة العلاقة بين الزمن السردى والزمن النفسى للشخصيات؟
3. ما أثر الأيديولوجيا والموقف الفكرى للكاتب في تشكيل الخطاب السردى؟

مسوغات البحث:

يعتمد البحث على فرضية أنّ التحليل السردى يُتيح فهماً أعمق للبنية الرمزية والفكرية في الرواية العربية، وأنّ مقارنة الخطاب السردى من منظور بلاغة النص تساعد على فهم الكيفية التي تتجلى بها الإيديولوجيا في اللغة والتشكيل السردى³، كما أنّ هذا البحث يسعى إلى سدّ فراغ نقدي في الدراسات التي تناولت رواية كنفاني من منظور جمالي خالص دون الربط بين البنية والوظيفة الفكرية.

منهج البحث:

يُعتمد في هذا البحث المنهج الوصفى التحليلي القائم على تحليل الخطاب السردى والتداخل الزمنى، مع الإفادة من المقاربة الثقافية في تحليل السرد بوصفه ظاهرة ثقافية.

الدراسات السابقة:

1. سعيد يقطين في كتابه تحليل الخطاب الروائي (المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، 1997)، قدّم إطاراً نظرياً لتحليل الزمن السردى والتبئير، وهو ما يستفاد منه في هذا البحث لتطبيقه على خطاب كنفاني.

² إبراهيم، عبد الله، السردية العربية- البنية والدلالة، المركز الثقافى العربى، بيروت، 1992، ص41

³ فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992، ص112

2. نبيل سليمان في كتابه الرواية العربية: بنية وتحولات (منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999) ركّز على تحولات البناء السرد في الرواية العربية الحديثة، ما يتيح مقارنة تحولات البنية بين الروايات الفلسطينية والعربية الأخرى.

3. عبد الملك مرتاض في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد (دار الفكر، بيروت، 1986) تناول تقنيات السرد العربي التقليدي والحديث، وقد أفاد هذا البحث من تحليلاته في توصيف مستويات الراوي والزمن.

المبحث الأول - مفهوم الزمن السرد والتداخل الزمني في رواية رجال في الشمس:

1- مدخل إلى الزمن السرد في النظرية الأدبية:

في نقد السرد الحديث، يُفرّق بين زمن القصة وزمن السرد؛ فزمن القصة هو ترتيب الأحداث كما وقعت أو يفترض وقوعها في الواقع الموضوعي، وزمن السرد هو الطريقة التي يعرض بها السارد هذه الأحداث، بما في ذلك ترتيبها، استخدام الاسترجاع أو الاستباق، وتقنيات التناوب الزمني⁴، وهذا التمييز مهم لفهم التداخل الزمني؛ أي التناوب بين الماضي والحاضر والمستقبل المحتمل داخل الرواية.

الاسترجاع: هو العودة إلى الماضي لفهم الحاضر، من مثل ذكريات الشخصيات عن الحياة قبل النكبة⁵.

الاستباق: هو الإشارة إلى أحداث مستقبلية قبل وقوعها، وهو أسلوب يخلق توترًا، ويقوم بتهيئة القارئ للمفاجآت⁶.

المفارقة الزمنية: هو التزام النص بوقائع متناقضة في الزمن لتعميق التوتر الدرامي والدلالي⁷.

2- الزمن في رواية رجال في الشمس:

تُظهر رواية غسان كنفاني زمنًا سرديًا في الحاضر يتداخل مع الماضي من خلال عمليات استرجاع تقوم بها شخصيات الرواية، التي تعكس فقدان الأرض والوطن، والحنين إلى الذكريات الفلسطينية؛ فمثلاً: شخصية أبو قيس تظل تتذكر أرضه وحقله وأشجار الزيتون، وكل ما يربطه بالزمن الفلسطيني الماضي

⁴ ينظر: سعيد، يقطين. تحليل الخطاب الروائي: الزمن - السرد - التبئير. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1997، ص36

⁵ ينظر: كنفاني، غسان. رجال في الشمس. مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1986، ص12-14

⁶ ينظر: عبد الملك، مرتاض. في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد. دار الفكر، بيروت، 1986، ص45

⁷ ينظر: صلاح، فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992، ص115

والمصير⁸، وشخصية أسعد التي تتذكر الكويت والمال الذي جمعه للزواج، وهي تعكس صراع أسعد الدائم بين الماضي والحاضر⁹، و شخصية أبو الخيزران التي تسترجع أشغاله قبيل النكبة، وحوادث موت أقرباء وأصدقاء له، الأمر الذي يظهر تأثير التاريخ على الشخصيات¹⁰؛ فالتداخل الحتمي بين الماضي والحاضر يظهر حجم الضغط النفسي والاجتماعي الكبير على الشخصيات، ويجعل القارئ يتفاعل مع التجربة التاريخية والاجتماعية للرواية¹¹.

3- أثر التداخل الزمني على بناء الحبكة: ويتجلى على النحو:

أ-إضفاء التوتر والإثارة: حيث المشاهد الحرجة، من مثل الخزان على الحدود، توظف الماضي والحاضر لزيادة وقع اللحظة الحاسمة، و كل دقيقة إضافية داخل الخزان قد تمثل الفارق بين حياة وموت وشيك¹².

ب-كشف الأنساق النفسية للشخصيات: إذ إن التداخل الزمني يسمح بفهم دواخل الشخصيات وصراعاتها، من مثل حنين أبو قيس لأرضه وما تخلفه الهجرة من فراغ نفسي¹³.

ج-الهوية والذاكرة الجماعية: حيث يعيد الزمن الاسترجاعي بناء ذاكرة جماعية فلسطينية، موضحاً أثر النكبة على الفرد والمجتمع¹⁴.

4- تقنيات السرد المستخدمة في التداخل الزمني:

⁸ ينظر: كنفاني، غسان. رجال في الشمس. مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1986، ص12-13

⁹ ينظر: برادة، محمد. الكتابة والتجربة الذاتية. دار توبقال، الدار البيضاء، 1992، ص40

¹⁰ ينظر: سليمان، نبيل. الرواية العربية: بنية وتحولات. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص72

¹¹ ينظر: إبراهيم، عبد الله. السردية العربية: البنية والدلالة. المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص53

¹² ينظر: كنفاني، غسان. رجال في الشمس، ص48-50

¹³ ينظر: سعيد، يقطين. تحليل الخطاب الروائي: الزمن - السرد - التبئير، ص41

¹⁴ ينظر: صلاح، فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992، ص118-119

تتمثل على مستوى السرد في الاسترجاع المكثف الذي يكشف عن خلفيات الشخصيات، ويضيف عمقاً للحبكة¹⁵ ، وفي الاستباق النفسي الذي يظهر مخاوف الشخصيات، ويخلق توقعات للقارئ¹⁶، وكذلك التناوب بين الماضي والحاضر الذي يعكس صراع الشخصيات بين الواقع والذاكرة، ويزيد من توتر السرد¹⁷.

وبناء على ما سلف فإن التداخل الزمني والزمن السرد في رواية رجال في الشمس يكشف للقارئ دواخل الشخصيات وصراعاتها النفسية والاجتماعية، ويربط كذلك الإنسان بالذاكرة الجماعية الفلسطينية، كما يضيف عمقاً نفسياً للحبكة ويزيد من التوتر الدرامي، ويعكس صراع الشخصيات بين الماضي والحاضر والمستقبل المحتمل¹⁸، فالزمن السرد ليس مجرد ترتيب للأحداث، بل أداة لإظهار التوتر النفسي والاجتماعي والسياسي في الرواية.

ثانياً- بناء الحبكة والزمن السرد في رواية رجال في الشمس:

أ-بناء الحبكة في الرواية:

تعتمد رواية رجال في الشمس حبكة خطية مركبة، حيث يتقاطع الزمن الحاضر مع استرجاع الماضي، فالحبكة تقوم على رحلة ثلاثة فلسطينيين عبر الصحراء نحو الكويت، في محاولة للهجرة والبحث عن حياة أفضل، لكنها تتداخل مع ذكرياتهم الفردية والجماعية عن فلسطين المفقودة، ما يخلق توتراً درامياً مستمراً¹⁹، حيث تبدأ (البداية) الرواية بوصف الشخصيات الثلاثة وتحضيرهم للرحلة، مع إشارات إلى حياتهم السابقة في فلسطين، وهذا الإطار الزمني الحاضر يهيئ للقارئ للتوتر الذي سيصاحب الرحلة²⁰، وتصل الرواية إلى الذروة في مشهد الخزان على الحدود، حيث يواجه الأبطال الموت نتيجة الحر الشديد والقيود على تحركاتهم، ويشعر القارئ بتكثيف الزمن السرد، الأمر الذي يعكس الضغط النفسي والاجتماعي للشخصيات²¹، أما النهاية

¹⁵ ينظر: كنفاني، غسان. رجال في الشمس، ص 15-17

¹⁶ ينظر: حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدثّة: من البنيوية إلى التفكيك. سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، القاهرة، 1998، ص 61

¹⁷ ينظر: تودوروف، ترفيتان. مدخل إلى الأدب العجائبي. ترجمة: إبراهيم الخطيب. دار توبقال، الدار البيضاء، 1987، ص 79

¹⁸ ينظر: برادة، محمد. الكتابة والتجربة الذاتية، ص 42

¹⁹ ينظر: عبد الملك، مرتاض. في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، ص 91

²⁰ ينظر: كنفاني، غسان. رجال في الشمس، ص 10-12

²¹ ينظر: سعيد، يقطين. تحليل الخطاب الروائي: الزمن - السرد - التبئير، ص 41-42

فتكشف عن موت الشخصيات، وهو الحدث الذي تم استشرافه في وقت سابق عبر بعض الإشارات في عملية استباق للمخاطر، وهذا يجعل القارئ في صراع مع نسق التوقع والتحقق في الزمن نفسه²².

ب-التداخل الزمني في الرواية:

يذهب محمد برادة إلى أن التداخل الزمني يجعل القارئ يعيش التجربة الشخصية والاجتماعية للشخصيات معاً، ويجعل الحكمة أكثر عمقاً من كونها مجرد سرد خطي للأحداث²³، وتوظف الرواية تقنيات التداخل الزمني الآتية:

1. الاسترجاع: حيث تعود الشخصيات إلى ذكريات الماضي لتوضيح دوافعها النفسية والاجتماعية، على سبيل المثال، ذكريات أبو قيس عن قريته وأرضه، وذكريات أسعد عن حياته في الكويت والمبلغ المالي الذي جمعه للزواج، توضح الصراع بين الحاضر المعيشي والماضي المفقود²⁴.

2. الاستباق: يوحى النص بخطر الموت أثناء الرحلة، من خلال وصف الإرهاق والتعب والصحراء القاحلة، ما يخلق توتراً مسبقاً يسبق حدوث الفاجعة²⁵.

3. التوازي بين الماضي والحاضر: فالزمن الحاضر المتمثل في الرحلة والماضي المتمثل في الذكريات الفلسطينية يسيران بالتوازي، وهذا يوضح الارتباط العاطفي والاجتماعي للشخصيات بأرضها الأصلية، ويؤكد على فقدان الهوية الجماعية²⁶.

ج- أثر التداخل الزمني على فهم الشخصيات: ويتجلى في:

أ- عمق الشخصية النفسية: فالاسترجاع يكشف دواخل الشخصيات، من مثل شعور (أبو قيس) بالمسؤولية تجاه الأرض، وصراع أسعد بين الواجب الأسري والظروف الاقتصادية²⁷.

ب- الهوية والذاكرة الجماعية: يسمح التداخل الزمني بفهم العلاقة بين الفرد والمجتمع، إذ تمثل ذكريات الماضي فلسطين المفقودة، ما يعكس فقدان الهوية الوطنية والأثر النفسي للنكبة²⁸.

²² ينظر: صلاح، فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص، ص108

²³ ينظر: برادة، محمد. الكتابة والتجربة الذاتية، ص39

²⁴ ينظر: كنفاني، غسان. رجال في الشمس، ص12-15

²⁵ ينظر: إبراهيم، عبد الله. السردية العربية: البنية والدلالة، ص49

²⁶ ينظر: سليمان، نبيل. الرواية العربية: بنية وتحولات، ص73

²⁷ ينظر: كنفاني، غسان. رجال في الشمس، ص14-16

²⁸ ينظر: صلاح، فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص، ص112-113

ج- التوتر الدرامي والحبكة: يزيد الزمن السردي المركب من تشويق الأحداث، إذ إن القارئ يربط بين الماضي والحاضر والمستقبل المفترض، ويجعل نهاية الرواية أكثر تراجيدية وواقعية²⁹. يظهر ما سلف من تتبع وتحليل للنص أن رواية رجال في الشمس تستثمر الزمن السردي والتداخل الزمني بشكل فعال جداً، وبحرفية سردية عالية، ليصبح من ثم عنصراً مركزياً في بناء الحبكة، ويجعل من الرواية تجربة متعددة المستويات الزمنية.

المبحث الثالث - الشخصيات والزمن النفسي في رواية رجال في الشمس:

1- مدخل إلى الزمن النفسي في الرواية:

يعبر الزمن النفسي في الرواية عن تجربة الشخصيات للزمن داخل السرد؛ بمعنى كيف تعيش الشخصيات الأحداث في وعيها؟ وما الذي يتركه الماضي من أثر على الحاضر؟ وما الذي يتنبأ به المستقبل من مخاوف أو آمال؟ حيث يتيح البعد النفسي للقارئ فهم الصراعات الداخلية للشخصيات، ويظهر التناقض بين رغباتها وقيود الواقع الاجتماعي والسياسي³⁰، كما يعمل الزمن النفسي على إبراز التوتر الداخلي للشخصية، حيث تصبح الذاكرة عاملاً فعالاً في تشكيل الدوافع النفسية، ويعكس صراع الفرد بين الذات والظروف المحيطة به³¹.

2- تحليل الشخصيات الرئيسية والزمن النفسي:

نقف في الرواية على شخصيات متعددة منها؛ شخصية أبو قيس التي تمثل الحنين إلى وطن مفقود، ذكريات أرضه وبيته وحقله تظل راكزة في نفسه طوال الرحلة، وهو ما يربطه بالزمن الماضي بشكل دائم³²، وهذا الاسترجاع يكشف عن الصراع القائم بين الحاضر المتمثل؛ برحلة الصحراء الخطرة، والماضي المتمثل؛ بالذكريات الفلسطينية، وأشجار الزيتون، والجيران، والحياة الاجتماعية التي فقدت بعيد النكبة³³، والشخصية التي تعيش التداخل بين الماضي والحاضر تولد عمقاً نفسياً واضحاً، إذ يتفاعل الحنين مع الواقع الراهن، ويخلق حالة من الصراع الداخلي³⁴.

²⁹ ينظر: حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، ص58

³⁰ ينظر: سعيد، يقطين. تحليل الخطاب الروائي: الزمن - السرد - التبئير، ص36

³¹ ينظر: صلاح، فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص، ص115

³² ينظر: كنفاني، غسان. رجال في الشمس، ص12-14

³³ ينظر: سليمان، نبيل. الرواية العربية: بنية وتحولات، ص70

³⁴ ينظر: برادة، محمد. الكتابة والتجربة الذاتية، ص40

نجد شخصية أسعد في النص مرتبطة بالمسؤولية الفردية والاقتصادية؛ إذ يسعى لجمع المال للزواج، وتظهر ذكرياته عن الكويت بوصفها وسيلة لفهم دوافعه الحالية³⁵، ويعبر الزمن النفسي هنا عن ضغط الواقع الاجتماعي المتمثل بضرورة تأمين المال، والتأثير النفسي للذكريات المتمثل بكيفية مواجهة أسعد الماضي والفرص الضائعة³⁶، والتداخل بين الحاضر والماضي يعمق فهم القارئ للصراعات الداخلية للشخصية، ويكشف بدقة وتفصيل عن أبعادها النفسية والاجتماعية. أما شخصية أبو الخيزران فهي المالكة لزمان الخبرة والمرونة، وتشير إلى الندم على الماضي والعمل قبل النكبة، ووفاة أشخاص مقربين مثل الأستاذ سليم، وهذا انعكاس لواقع التاريخ الجماعي على الفرد³⁷، كما تظهر شخصية أبو الخيزران تأثير الذاكرة الجماعية على الفرد، وهو ما يبرز العلاقة بين الزمن النفسي والتاريخ السياسي والاجتماعي³⁸.

3- العلاقة بين الزمن النفسي وبناء الحبكة:

تتلخص العلاقة بين الزمن النفسي وبناء الحبكة في الآتي:

1. تشويق القارئ وتوليد التوتر السردى:

يُعدّ الزمن النفسي في رجال في الشمس أحد أبرز الوسائل التي يعتمد عليها الروائي لتوليد التشويق، وشدّ القارئ إلى تتبع الدواخل النفسية للشخصيات؛ فالزمن هنا لا يتقدّم خطياً، بل يتقطع، ويتداخل تبعاً لتقلّبات الوعي والذاكرة؛ ففي بداية الرواية "كان أبو قيس يتمدد على الرمل وقد التصق جسده بالأرض، وأغمض عينيه متذكراً رائحة التراب بعد المطر"³⁹، هنا يفتح السرد على لحظة ذهنية تستعيد الماضي عبر حاسة الشم، لتبدأ الرواية من الداخل النفسي لا من الخارج الحدثي، وهذا التقديم الزمني يجعل القارئ يعيش اللحظة الشعورية للشخصية، فيتولّد توتر سردي من عملية تركيز الوعي وانحباسه بين ما كان وما هو كائن، فتتحريك الزمن داخل وعي الشخصية يُحوّل السرد إلى عملية تفكيك نفسي، تُبقي القارئ في حال انتظار دائم للانفراج، أو المفاجأة⁴⁰.

2. الهوية والذاكرة الجماعية:

³⁵ ينظر: كنفاني، غسان. رجال في الشمس، ص 25-26

³⁶ ينظر: إبراهيم، عبد الله. السردية العربية: البنية والدلالة، ص 53

³⁷ ينظر: كنفاني، غسان. رجال في الشمس، ص 27-28

³⁸ ينظر: سليمان، نبيل. الرواية العربية: بنية وتحولات، ص 72

³⁹ ينظر: كنفاني، غسان. رجال في الشمس، ص 7

⁴⁰ ينظر: سعيد، يقطين. تحليل الخطاب الروائي: الزمن - السرد - التبئير، ص 41

يتجاوز الزمن النفسي الحدود المرسومة للذات الفردية ليصبح الحامل للذاكرة الجماعية الفلسطينية، فذكريات الشخصيات ليست مجرد استرجاع لأحداث شخصية، بل تمثل ما يمكن أن تسميته: "ذاكرة النص الجماعية التي تُعبّر عن وعي جمعي مأزوم"⁴¹. على سبيل المثال: حين يتذكّر أسعد وجه ابنة عمه وهو يغادر فلسطين، يقول السارد: "تذكّر وجهها وهي تولول حين أخبروها أنه سيسافر إلى الكويت"⁴²، هنا تتحوّل الذكرى إلى استعارة للانفصال القسري عن الأرض والأنثى والوطن في وقت واحد، أما شخصية مروان فيرتبط زمنها النفسي بالمسؤولية القهرية تجاه أسرته بعد رحيل الأب، يقول السارد: "لم يكن في وسعه أن يرفض حين قالت له أمه: عليك أن تسافر، البيت بلا رجل"⁴³، وهذه الاسترجاع لا يكتفي فقط بتعميق البنية النفسية للشخصيات، وإنما يعيد إنتاج سردٍ موازٍ لذاكرة فلسطين بعد النكبة، إذ يتداخل الخاص بالجمعي.

3. العمق النفسي للشخصيات:

يتجلى التمزّق الداخلي للشخصيات في التداخل بين الماضي والحاضر فيغدو الزمن النفسي ميداناً لصراع الذاكرة والوعي، فالزمن النفسي في الرواية الحديثة هو تموّج داخليّ يعبر عن التداخل بين العواطف والمخاوف والآمال⁴⁴، وهذا ما يتجسّد بوضوح في شخصية (أبو الخيزران) الذي يعيش عملية استرجاعات متقطعة لذاكرة الحرب وفقدان رجولته، يقول السارد: "تذكّر حين كان يركض في الشوارع قبل أن تُسلب رجولته في الحرب"⁴⁵، وفي هذا الشاهد السردى يختلط زمن الواقع بزمن الوعي، لينعكس عجز الجسد على عجز الإرادة، ويصير الزمن ذاته أداة كشف عن فقدان المعنى الإنساني.

البنية الزمنية في رواية رجال في الشمس ليست مجرد إطار للأحداث، بل هي مرآة للانكسار النفسي والهوية الفلسطينية الممزّقة، وتتحوّل تقنيات الزمن النفسي من استرجاع واستباق وتناوبٍ زمنيّ إلى وسائل درامية تكشف عن مأساة الإنسان في مواجهة القهر والضياع، وتُعيد تشكيل الحكمة بوصفها رحلة دائرية تبدأ بالحنين، وتنتهي بالموت.

⁴¹ ينظر: صلاح، فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 118

⁴² ينظر: كنفاني، غسان. رجال في الشمس، ص 25

⁴³ ينظر: المصدر السابق، ص 37

⁴⁴ ينظر: عبد الملك، مرتاض. في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، ص 98

⁴⁵ كنفاني، غسان. رجال في الشمس، ص 49

المبحث الرابع: التداخل الحضاري والاجتماعي والزمن والمكان في رواية رجال في الشمس

المكان والزمان عنصران أساسيان في الرواية، إذ لا يقتصران على كونهما خلفية للأحداث، بل يشكلان الإطار الدلالي والنفسي للشخصيات⁴⁶، وفي رواية رجال في الشمس المستهدفة بالدرس يُبرز غسان كنفاني الصحراء بوصفها مساحة رمزية تمثل الفراغ الاجتماعي والسياسي الذي يعاني منه الفلسطينيون بعد النكبة، بينما يسمح الزمن السردي بالتنقل بين الحاضر الصعب والذكريات الفلسطينية، وبذلك يرتبط الفرد بالذاكرة الجماعية، والمكان في الرواية العربية الحديثة ليس مجرد موقع جغرافي، بل عامل بنيوي يؤثر على الحبكة والشخصيات، ويكشف التوترات الاجتماعية⁴⁷، وهو يعكس التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي عاشها المجتمع الفلسطيني بعد النكبة⁴⁸.

أ- تجليات المكان في رواية رجال في الشمس:

تتأتى أهمية المكان/ الفضاء الجغرافي في العمل الإبداعي من كونه يشكل "جزءاً أساسياً من هندسته ومعماريته، وليس مظهراً تزويقياً"⁴⁹، وفي رواية رجال في الشمس يتكشف المكان عن فضاءات متعددة، منها:

-فضاء الصحراء:

تمثل الصحراء في الرواية رمزاً للفراغ والضياع، كما تظهر التحديات الاقتصادية والاجتماعية التي تواجه الشخصيات، والرحلة عبر الصحراء تجربة وجودية تحكي عمق الأزمة الفلسطينية، ويعيش فيها الأبطال الصراع بين الأمل واليأس⁵⁰.

-فضاء المدن والمناطق الحضرية:

⁴⁶ ينظر: سعيد، يقطين. تحليل الخطاب الروائي: الزمن - السرد - التبئير، ص50

⁴⁷ ينظر: صلاح، فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص، ص120

⁴⁸ ينظر: سليمان، نبيل. الرواية العربية: بنية وتحولات، ص80

⁴⁹ ينظر: أسماء، شاهين. جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2001، ص17.

⁵⁰ ينظر: كنفاني، غسان. رجال في الشمس، ص45-47

تمثل الكويت في الرواية الأمل الاقتصادي، ولكنها أيضاً مكان للصراعات الاجتماعية والتحديات الفردية، حيث يبرز التناقض بين الماضي الفلسطيني والحاضر المادي⁵¹، وهذا التباين يوضح كيف يرتبط المكان بالهوية والذاكرة الفردية والجماعية.

-فضاء الأماكن الفلسطينية:

وهي تلك القرى والمدن الفلسطينية القديمة التي تظهر في استرجاعات الشخصيات، وتبرز الحنين إلى وطن مفقود، وتجعل القارئ يتابع الصراع النفسي والاجتماعي داخل الشخصيات⁵².

ب- الزمن والسرد الاجتماعي

لا يقتصر الزمن السرد في الرواية على ترتيب الأحداث، بل يعكس التجربة الاجتماعية والسياسية⁵³، كما يشير إلى أن التداخل بين الماضي والحاضر في الرواية يُظهر الأثر النفسي للنكبة، ويكشف التناقض بين الحياة الفردية والذاكرة الجمعية؛ فذكريات أبو قيس عن أرضه مثلاً، وكذلك ذكريات أسعد عن الكويت لا تقتصر على الفرد، بل تحكي التأثير الاجتماعي والسياسي على الشخصيات، وتوضح الصعوبات الاقتصادية والهجرة القسرية⁵⁴.

ج- التداخل الحضاري والاجتماعي:

-الهجرة والعمل في الخارج:

تشير الرحلة إلى الكويت في واحد من وجوها إلى تفاعل الفرد مع العالم الحضري المختلف، إذ يواجه التحديات الاقتصادية والاجتماعية، ويظهر تأثير البيئة الجديدة على القرارات والسلوكيات⁵⁵.

-الذاكرة الجماعية والتاريخ:

يربط السرد بين الفرد والجماعة، من غضون استرجاع الماضي الفلسطيني، ويبرز تأثير الأحداث التاريخية على الهوية، جاعلاً من الزمن السرد أداة لتوثيق التجربة الجماعية⁵⁶.

⁵¹ ينظر: برادة، محمد. الكتابة والتجربة الذاتية، ص52

⁵² ينظر: إبراهيم، عبد الله. السردية العربية: البنية والدلالة، ص57-58

⁵³ ينظر: سعيد، يقطين. تحليل الخطاب الروائي: الزمن - السرد - التنبؤ، ص54

⁵⁴ ينظر: كنفاني، غسان. رجال في الشمس، ص15-18

⁵⁵ ينظر: سليمان، نبيل. الرواية العربية: بنية وتحولات، ص85

⁵⁶ ينظر: عبد الملك، مرتاض. في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، ص102

-التوتر بين الماضي والحاضر:

المكان والزمان متداخلان، حيث تُظهر الصحراء الفراغ المادي والرمزي، في حين يربط الماضي الشخصيات بذكرتها الوطنية، ويخلق توترًا بين الواقع والحنين⁵⁷.

د- أثر المكان والزمن على بناء الحبكة:

للمكان والزمن أثر على بناء الحبكة في السرد الروائي؛ إذ يعمل على:

أ-تشويق القارئ:

تخلق الرحلة في الصحراء والضغوط البيئية والاجتماعية لحظات توتر عالية، ويظهر أثر الماضي على الحاضر بشكل مستمر⁵⁸.

ب-تكوين الشخصية:

يكشف المكان والزمن السرد صراعات الشخصيات الداخلية، من مثل الخوف من المستقبل، والحنين إلى الماضي، والتفاعل مع البيئة الاجتماعية⁵⁹.

ج- تشكيل بُعد اجتماعي وسياسي:

يوظف السرد المكان والزمن بغية إظهار أزمة الفلسطيني بعد النكبة، وتأثير الهجرة والعمل القسري على الهوية والذاكرة الجماعية⁶⁰.

بناء على ما سلف نجد على سبيل التركيب أن رواية غسان كنفاني الموسومة رجال في الشمس توظف المكان والزمان بوصفهما أدوات مركزية في بناء الحبكة والتحليل الاجتماعي، فالمكان ليس مجرد خلفية، بل رمز للأزمات الاجتماعية والسياسية، والزمن السرد يحكي الذاكرة الجماعية والتجربة الفردية، ويبرز التداخل بين الماضي والحاضر حدة الصراع النفسي والاجتماعي الذي تعاني منه الشخصيات، ولتغدو الرواية حينئذٍ تجربة مركبة الأبعاد؛ نفسية، واجتماعية، وسياسية، وجغرافية⁶¹.

⁵⁷ ينظر: صلاح، فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص، ص124-125

⁵⁸ ينظر: كنفاني، غسان. رجال في الشمس، ص48-50

⁵⁹ ينظر: برادة، محمد. الكتابة والتجربة الذاتية، ص55

⁶⁰ ينظر: إبراهيم، عبد الله. السردية العربية: البنية والدلالة، ص60

⁶¹ ينظر: سليمان، نبيل. الرواية العربية: بنية وتحولات، ص88

الخاتمة:

التداخل الزمني والزمني النفسي والمكان في رواية رجال في الشمس لغسان كنفاني تشكل عناصر مركزية لفهم بنية الحبكة وتطور الشخصيات، وقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- استخدمت الرواية الاسترجاع والاستباق استخداماً جيداً، حيث يتم الربط بين ماضي فلسطيني وحاضر لشخصيات الرواية يكشف دواخلها النفسية والاجتماعية.
- تعكس الشخصيات الثلاثة: أبو قيس، أسعد، وأبو الخيزران، لصراعات فردية وجماعية بين ذكريات ضائعة وواقع راهن.
- المكان في الرواية عامل دلالي يربط الشخصيات بالهوية والذاكرة الجمعية الفلسطينية؛ فالصحراء تمثل الفراغ والخطر، والذكريات الفلسطينية المسترجعة تعكس فقدان الوطن.
- يتيح الزمن السردي والزمن النفسي والمكان التفاعل مع البعد الجماعي والتاريخي للقضية الفلسطينية، ويمكّن الباحثين من فهم تقنيات كنفاني السردية في بناء الرواية.
- تتجاوز الرواية السرد التقليدي لتغدو تجربة متعددة المستويات: نفسياً، اجتماعياً، تاريخياً، وجغرافياً.
- تقدم الدراسة أنموذجاً لتحليل الرواية الفلسطينية الحديثة باستخدام أدوات النقد السردية البنيوية واللغوية، مع التركيز على البعد الإنساني والسياسي للأحداث.
- إن دراسة رواية رجال في الشمس لها أهمية في تحليل الأدب الفلسطيني في سياق الوعي الاجتماعي والسياسي.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم، عبد الله. السردية العربية: البنية والدلالة. المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992.
2. البناء، جمال. المكان والهوية في الرواية العربية المعاصرة. دار الشروق، القاهرة، 2003.
3. برادة، محمد. الكتابة والتجربة الذاتية. دار توبقال، الدار البيضاء، 1992.
4. حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك. سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، القاهرة، 1998.
5. خطيب، فؤاد. الشخصية في الرواية الفلسطينية الحديثة. المركز الثقافي العربي، بيروت، 1995.

6. سعيد، يقطين. تحليل الخطاب الروائي: الزمن - السرد - التبئير. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1997.
7. سليمان، نبيل. الرواية العربية: بنية وتحولات. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999.
8. شوقي، محمود. البنية النفسية للشخصية الروائية. دار الفكر، دمشق، 2000.
9. صلاح، فضل. بلاغة الخطاب وعلم النص. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992.
10. عبد الملك، مرتاض. في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد. دار الفكر، بيروت، 1986.
11. كنفاني، غسان. رجال في الشمس. مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1986.
12. محمد، أحمد. الزمان والمكان في السرد العربي الحديث. دار الفارابي، بيروت، 2005.
13. راغب، يوسف. الزمان النفسي في الرواية العربية. دار الفكر العربي، القاهرة، 2001.
14. تودوروف، تزفيتان. مدخل إلى الأدب العجائبي. ترجمة: إبراهيم الخطيب. دار توبقال، الدار البيضاء، 1987.
15. جينيت، جيرار. خطاب الحكاية. ترجمة: محمد معتصم وسعيد بنكراد. دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1993.